

البحث العلمي: المفهوم والدوافع

أولاً: مفهوم البحث العلمي

يُعدّ البحث العلمي من أهم الأنشطة الإنسانية التي تهدف إلى تطوير المعرفة واكتشاف الحقائق. وقد اختلف العلماء في تحديد تعريفه تبعاً لزاوية اهتمامهم ومنهجهم في النظر إلى العلم.

تعريف إبراهيم بسيوني عميرة

عرّف عميرة (2015) البحث العلمي بأنه تفكير دقيق ومنظم ومضبوط يُستخدم للتوصل إلى حقائق أو قواعد عامة يمكن التحقق من صحتها من أجل تعديل أو إضافة معلومات جديدة إلى المعرفة الإنسانية، وهو تعريف يركّز على الجانب المنطقي التحليلي، حيث يُبرز أن التفكير المنظم هو جوهر العملية البحثية، وأن التحقق من صحة النتائج هو معيار العلم. ويُضيف هذا التعريف فكرة أن البحث العلمي ليس غاية في ذاته، بل هو وسيلة لتطوير المعرفة الإنسانية القائمة على الدليل والتحقق (عميرة، 2015).

تعريف أحمد بدر

أما بدر (2013) فيرى أن البحث العلمي هو الاستخدام المنظم لعدد من الأساليب والإجراءات للحصول على حل أكثر كفاية لمشكلة تختلف درجة تعقيدها، ويمنح الباحث القدرة على التحقق من صحة النتائج. يركّز هذا التعريف على أن جوهر البحث العلمي هو حل المشكلات، ويُبرز أن اختلاف درجات التعقيد في المشكلات يتطلب تنوعاً في الأساليب والمنهجيات. ويُضيف بدر أن المنهج العلمي هو الأداة التي تمكّن الباحث من التعامل المنطقي مع المشكلات للوصول إلى حلول عملية قابلة للتطبيق (بدر، 2013).

تعريف جود (Good)

أما جود (Good, 1973) فقد عرّف البحث العلمي بأنه البحث الدقيق عن حقائق أو مبادئ معينة تستوجب الفحص والاختبار، وهو منهج للتوصل إلى حلول تستند إلى الملاحظة المضبوطة. يُبرز هذا التعريف أهمية المنهج التجريبي، حيث يقوم على الملاحظة المقننة والتحقق من الفرضيات بدلاً من الاعتماد على الآراء الذاتية. ويُضيف أن أي معرفة علمية لا تكون علماً حقيقياً إلا إذا خضعت للفحص التجريبي والتكرار للتحقق من صدقها. (Good, 1973).

تعريف أحمد لطفي بركات

ويرى بركات (2019) أن البحث العلمي هو استقصاء شامل ومنظم لظاهرة أو مشكلة معينة يستند إلى جمع البيانات الأولية والثانوية ومن ثم تحليلها بشكل موضوعي بهدف الوصول إلى استنتاجات منطقية تعتمد على البراهين.

يُركّز هذا التعريف على الاستقصاء الشامل والموضوعية، ويُبرز أهمية الاعتماد على البيانات الموثوقة كمصدر للحكم العلمي.

ويُضيف أن الجمع بين البيانات الأولية والثانوية يعزّز مصداقية النتائج ويُسهّم في الوصول إلى استنتاجات مدعومة بالأدلة (بركات، 2019).

التحليل المقارن للتعريفات

من خلال هذه التعريفات يمكن القول إن البحث العلمي هو عملية فكرية ومنهجية منظمة تهدف إلى التوصل إلى معرفة يمكن التحقق منها اعتماداً على الدليل والبرهان. (Creswell & Poth, 2018) وقد ركّز عميرة على التفكير المنطقي، وبدر على المنهج التطبيقي، وجود على الملاحظة التجريبية، وبركات على التحليل المنظم للبيانات، وهي جميعها عناصر تكوّن الأساس المشترك للبحث العلمي المعاصر. (Punch, 2020)

ثانياً: دوافع الباحثين لإجراء البحث العلمي

البحث العلمي لا ينشأ من فراغ، بل تدفعه مجموعة من الدوافع المعرفية والأخلاقية والاقتصادية التي تفسّر سبب سعي الباحثين وراء الاكتشاف والإنتاج العلمي.

1. الدوافع المعرفية والشخصية

تتمثل هذه الدوافع في حب الاستطلاع والسعي لمعرفة المجهول، وهي الدوافع الأقدم في التاريخ الإنساني. إذ يحاول الباحث فهم الظواهر وتوسيع حدود المعرفة القائمة. (Babbie, 2021) كما ينطلق الباحث من الشك العلمي في نتائج الدراسات السابقة ومحاولة اختبارها مجدداً أو تصحيحها إذا ثبت ضعفها، إضافة إلى البحث عن علاقات جديدة بين المتغيرات من أجل تطوير النظريات العلمية. ويؤكد كيرلنجر ولي (Kerlinger & Lee, 2000) أن الدافع المعرفي يُعدّ المحرك الأعظم للبحث العلمي، لأنه يرتبط بالفضول العقلي والرغبة في التفسير والتحليل.

2. الدوافع الأخلاقية والبيئية

يرى عدد من المفكرين أن من واجب الباحث أن يسخر علمه لخدمة المجتمع والإنسانية، لذلك تشمل هذه الدوافع معالجة القضايا الأخلاقية والبيئية مثل دراسات المناخ والتلوث البيئي واستهلاك الموارد

الطبيعية.

كما تشمل الدفاع عن قضايا إنسانية واجتماعية كتحسين التعليم والرعاية الصحية وتمكين المرأة والفئات الضعيفة. (UNESCO, 2023)

ويُحلل كريسويل وبوث (Creswell & Poth, 2018) هذا النوع من الدوافع باعتباره تعبيرًا عن المسؤولية الأخلاقية للعلم التي تجعل الباحث مساهمًا في الإصلاح لا مجرد مراقب للواقع.

3. الدوافع الاقتصادية والصناعية

تنبع من حاجة المؤسسات والمجتمعات إلى الابتكار والتطوير الصناعي والتكنولوجي.

فالشركات والمؤسسات تُجري الأبحاث بهدف تحقيق ميزة تنافسية، وتحسين الكفاءة التشغيلية،

واستكشاف أسواق جديدة. (OECD, 2021)

وتسهم هذه الدوافع في دفع عجلة الاقتصاد القائم على المعرفة، إذ يتحول البحث العلمي إلى أداة للتنمية

المستدامة. (Yin, 2023)

كما يرى بانث (Punch, 2020) أن هذه الدوافع تجعل من البحث العلمي نشاطًا منتجًا يربط بين النظرية والتطبيق، وبين الفكر والسوق.

ثالثًا: خلاصة عامة

يُستنتج مما سبق أن البحث العلمي عملية شاملة تعتمد على العقل والمنهج والدليل، وتستهدف فهم الواقع وتطويره.

وهو في جوهره فعل إنساني راقٍ يجمع بين الدافع المعرفي والرغبة في الإصلاح والطموح إلى الابتكار (Creswell & Poth, 2018).

كما يُعدّ البحث العلمي جسرًا بين الفلسفة والتجربة، وبين الفكر والتطبيق، وبين القيم الإنسانية ومتطلبات التنمية.

ولذلك فإن كل باحث حقيقي لا يكتفي بجمع المعلومات، بل يسعى إلى إنتاج معرفة جديدة قابلة للتحقق والتطبيق، تُسهم في خدمة الإنسان والمجتمع.

قائمة المراجع

- عميرة، إبراهيم بسيوني. (2015). *أسس البحث العلمي ومناهجه*. القاهرة: دار الفكر العربي.
- بدر، أحمد. (2013). *المدخل إلى البحث العلمي: أسسه ومناهجه*. القاهرة: دار النهضة العربية.
- بركات، أحمد لطفي. (2019). *البحث العلمي بين النظرية والتطبيق*. الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية.
- Babbie, E. (2021). *The practice of social research* (15th ed.). Cengage Learning.
- Creswell, J. W., & Poth, C. N. (2018). *Qualitative inquiry & research design: Choosing among five approaches* (4th ed.). SAGE Publications.
- Good, C. V. (1973). *Dictionary of Education* (3rd ed.). McGraw-Hill.
- Kerlinger, F. N., & Lee, H. B. (2000). *Foundations of behavioral research* (4th ed.). Harcourt College Publishers.
- OECD. (2021). *Science, technology and innovation outlook*. Organisation for Economic Co-operation and Development.
- Punch, K. F. (2020). *Developing effective research proposals* (4th ed.). SAGE Publications.
- UNESCO. (2023). *Higher education and sustainable development: The role of research and innovation*. Paris: UNESCO.
- Yin, R. K. (2023). *Case study research and applications: Design and methods* (7th ed.). SAGE Publications.